الفصل الثالث

علامات الساعة الكبرى (الآيات العظام)

أولاً: عدد العلامات الكبرى وترتيبها:

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: { **مَا تَذَاكَرُونَ؟** }. قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: { **إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ** }(١).

• سُمِّيت هذه العلامات بالآيات، لما فيها من إعجاز خارق للعادة، فكل هذه الأمور خارقة لنواميس الكون.

• **وآخر هذه العلامات هو: النار التي تخرج من اليمن، أو الريح التي تقبض أرواح المؤمنين**، وقبلها علامتان، وهما: **طلوع الشمس، ودابة الأرض**، وثلاث علامات ثبت التلازم بينها وهي: **الدَّجَّال، ثم نزول عيسى، ثم يأجوج ومأجوج**، أما العلامات الباقية، وهي **الخسوف والدُّخَان** فهي غير معلومة الترتيب على سبيل الجزم.

• وهناك اعتبار أن الخَسف بجزيرة العرب قد يكون علامة من علامات

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: في الأيات التي تكون قبل الساعة، ح (٢٩٠١).

خروج المهدي، ودليلًا من دلائل صدقه، وعلى هذا يمكن القول إن الترتيب للعلامات - والله أعلم - كالتالي:

(خسف المشرق، خسف المغرب، خسف جزيرة العرب، ثم الدَّجَّال، ثم نزول عيسى بن مريم، فيأجوج ومأجوج، ثم طلوع الشمس من مغربها، ثم الدابة التي تكلم الناس، ثم النار التي تخرج من مقر عدن، أو الريح التي تلقي الناس في البحر).

• وتبقى علامة **الدُّخَان**، واحتمال أن تكون بعد **خسف المشرق وخسف المغرب، وقبل خسف جزيرة العرب.**

• عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **{ بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: الدَّجَّالَ، وَالدُّخَانَ، وَدَابَّةَ الْأَرْضِ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ، وخُوَيِّصَةَ أَحَدِكُمْ }**(١).

• هذا الحديث يُشيرُ إلى ضرورة الاستعداد لعلامات الساعة بالمبادرة والإسراع بالإيمان والعمل الصالح، وفيه إشارة إلى أن هذه الآيات العظام تقع فجأة، مما يتطلب المسارعة بالتوبة حتى لا يفجأ بها، وكان لسان حال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الاستعداد والترقُّب في كل وقت خشية طروق هذه الآيات العظام.

فعن النَّضْرِ، قَالَ: كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى عَهْدِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: فَأَتَيْتُ أَنَسًا، فَقُلْتُ: يَا أَبَا حَمْزَةَ! هَلْ كَانَ يُصِيبُكُمْ مِثْلُ هَذَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: «مَعَاذَ اللهِ، إِنْ كَانَتِ الرِّيحُ لَتَشْتَدُّ فَنُبَادِرُ الْمَسْجِدَ مَخَافَةَ الْقِيَامَةِ »(٢).

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: في بقية من أحاديث الدجال، ح (٢٩٤٧).
(٢) أخرجه أبو داود: جماع أبواب الصلاة، ب: الصلاة عند الظلمة، ح (١١٨٤)، والحاكم في المستدرك، ح (١٢٤١)، وقال: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وضعَّفه الألباني.

فإذا كان هذا هو حال الصحابة، واستعدادهم مع بُعْدِ عهدهم، فكيف يكون حالنا مع قرب عهدنا من الساعة أو إرهاصاتها العُظمى؟!

• والمقصود بأمر العامة، هو قيام الساعة نفسها، أما خاصة أحدكم أو خويصة أحدكم فيراد بها الموت، ومن مات قامت قيامته.

ثانيًا: سرعة تتابع الآيات العظام:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ الْآيَاتُ خَرَزَاتٌ مَنْظُومَاتٌ فِي سِلْكٍ، فَإِنْ يُقْطَعِ السِّلْكُ يَتْبَعْ بَعْضُهَا }**(١).

• فقد تحدُث هذه العلامات في قَرْن واحد - والله أعلم - تنتهي بعده الدنيا.

• وفي الحديث إشارة إلى سرعة وقوع هذه الآيات، وتعلُّق بعضها ببعض.

ثالثًا: الحدث الكوني وعلاقته بآية الدُّخَان والدَّجَّال:

قال تعالى: ﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ ﴾ [الملك]. وقال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ ﴾[الإسراء].

• فالآيتان صريحتان في تهديد كفار البشرية بالحجارة من السماء، وقد جاء الاستفهام فيهما على وجه التوبيخ والتهديد، أي كيف تأمنون وقوع حجارة عليكم من السماء كعقوبة لكم على كفركم؟ وقد وقع مثل ذلك على أقوام سابقة، والأصل فيكم ما دمتم وقعتم في موجبات العقاب أن تكونوا على حذر تام،

---

(١) أخرجه أحمد، ح (٧٠٥٨)، والحاكم، ح (٨٦٣٩) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

وَوَجَلٍ وترقُّب لوقوع حِجارة من السماء عليكم، والأمر ليس ببعيد عنكم، وليس مستغربًا، وما هي من الظالمين ببعيد.

• قال تعالىٰ: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١١ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ۝١٢ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ۝١٣ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ۝١٤ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ۝١٥ ﴾[الدُّخَان].

• بعض المفسِّرين يَرَىٰ أنها وقعت في العهد المكي، وبعضهم يرىٰ أن آية الدُّخَان قادمة، وهي من علامات الساعة، والآية قد تضمنت عدة محاور منها:

• قول الله تعالىٰ لنبيِّه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ ﴾ إشارة إلىٰ أن هذه الآية حاصلة لا محالة، ووصف الدُّخَان بأنه مبين، أي واضح حقيقي.

• مصدر الدُّخَان السماء، أي يأتي من أعلىٰ، يَغشَىٰ الناسَ بالإتيان والتغطية والإفزاع، يحجُب عنهم الرؤية.

• كما وصف الدُّخَان بأنه عذاب أليم في إشارة واضحة إلىٰ أنه عقوبة فظيعة تصيب الناس، وهذا الحدث سيكون جَلَلًا، ولا يجد الناس لهم مَفرًّا منه إلا باللجوء إلىٰ الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

وسياق الآية يُشيرُ إلىٰ أن إيمانهم يُعتبَر من باب الاضطرار الذي يواكِب الشدائد، ويتلاشَىٰ بعده.

• قوله سبحانه بأنه سيكشف العذاب قليلًا، إشارة إلىٰ أن هذا الحدث قريب من الساعة، وهي البطشة الكبرىٰ.

• عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: غَدَوْتُ عَلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ:

«مَا نِمْتُ الْبَارِحَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ» ، قُلْتُ: لِمَ؟ قَالَ: « قَالُوا: طَلَعَ الْكَوْكَبُ ذُو الذَّنَبِ، فَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ الدَّجَّالُ »(١).

• قال الله تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾[الطور].

تتضمَّن هذه الآية تهديدًا لكفار قريش، وفيها إشارة عجيبة، وهي الرابط بين رؤية قطعة كبيرة من الحجارة ساقطة وبين السحاب الأسود الكثير المتراكم.

وهذا المعنى أشار إليه علماء الفلك بقولهم: إن نزول نيزك على الأرض كفيل بخلق سحابة شديدة من الدُّخَان المتراكم تحجب رؤية الشمس جزئيًّا أو كليًّا.

• وهذه الآية جاءت بعد خمسة عشر استفهامًا دالًا على تعنُّت الكفار وغطرستهم وغرورهم، وتفنُّنِهم في الجحود والكفر، وتحمل في طياتها غضب ربِّ البرية جلَّ وعلا على حالهم، وبعد هذه الآية بخمس آيات أقسم الله سبحانه وتعالى بنجمٍ يسقط، أو بالنجم إذا هوَى.

• ويلاحظ أن ترتيب سورة النجم بعد سورة الطور، ثم بعدها سورة القمر، وجاء ذكر الآزفة (التي ليس لها من دون الله كاشفة) التي خُتِمت بها سورة النجم، إشارة إلى اقتراب الساعة، وذلك بداية سورة القمر.

---

(١) أخرجه الحاكم: ك: الفتن والملاحم، وقال صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وأقره الذهبي، ح (٨٤١٩).

• الدَّجَّال وآية الدُّخَان:

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ...ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أي لابنِ صيَّادٍ -: **{ إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا }**، وخبَّا له **(يوم تأتي السماء بدخان مبين)**، فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: هُوَ الدُّخُّ، فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ اخْسَأْ، فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ }**(١).

في هذا الحديث إشارة نبوية إلى أن من علامات خروج الدَّجَّال حصول آية الدُّخَان قبله، وقد تكون آية الدُّخَان هي الممهِّدة لخروج الدَّجَّال، ولها علاقة بالقَحْطِ الذي يُصيبُ الأرض، ولها علاقة بتقارُب الزمان قبل الدَّجَّال.

• وعن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خطبته بعد كسوف الشمس حيث قال: **{... وَإِنَّهُ وَاللهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ كَذَّابًا آخِرُهُمُ الْأَعْوَرُ الدَّجَّالُ، مَمْسُوحُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى } ... قَالَ: { وَلَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَذَلِكَ حَتَّى تَرَوْا أُمُورًا يَتَفَاقَمُ شَأْنُهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، وَتَسَاءَلُونَ بَيْنَكُمْ هَلْ كَانَ نَبِيُّكُمْ ذَكَرَ لَكُمْ مِنْهَا ذِكْرًا، وَحَتَّى تَزُولَ جِبَالٌ عَلَى مَرَاتِبِهَا، ثُمَّ عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ الْقَبْضُ }**، وفي رواية الحاكم: **{ وَحَتَّى تَزُولَ جِبَالٌ عَنْ مَرَاسِيهَا }**(٢).

• في الحديث إشارة إلى وقوع أمور مَهولَةٍ مُزَلْزِلَةٍ دون أن يكون لها ذكر في سُنَّة النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولعل بعض الفتن التي تَعيشها الأمَّة اليوم، من هذا القبيل،

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الجنائز، ب: إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ، هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَى الصَّبِيِّ الإِسْلاَمُ، ح (١٣٥٤)، ومسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: ذكر ابن صياد، ح (٢٩٣٠).
(٢) أخرجه أحمد، ح (٢٠١٧٨)، والحاكم، ح (١٢٣٠)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

حيث حارَ كثير من العلماء في إيجاد توصيف دقيق لها في السُّنَّة النَّبويَّة.

• وفي الحديث إشارة إلى زوال جبال من أماكنها قبل الدَّجَّال، وهذا يحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى المدينة المعاصرة التي أزالت كثيرًا من الجبال لإنشاء المدن والعمارات وما شابه ذلك، أو وهو الأرجح أن تزول هذه الجبال عن أماكنها نتيجة تغييرات جيولوجية ضخمة - بأمر الله تعالى - تتعرَّض لها الأرض تؤثِّر في الجبال وتنسف بعضها وتغيِّر من معالمها، ويناسب ذلك الإرهاصات والتغيُّرات غير المعهودة بين يدي الدَّجَّال.

• القحط العظيم الذي سيصيب الأرض:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **{ لَيْسَتِ السَّنَةُ بِأَنْ لَا تُمْطَرُوا، وَلَكِنِ السَّنَةُ أَنْ تُمْطَرُوا وَتُمْطَرُوا، وَلَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ شَيْئًا }**(١).

وهذا كلام فيه أسرار عجيبة جدًّا تدل على مدى الدِّقَّة النبويَّة في توصيف المستقبل، وقد تحدَّث بعض علماء الفلك أنه بعد نزول نيزك ترتفع هالة من الدُّخَان تغطي الكرة الأرضية، وتحجب عنَّا الشمس سنة كاملة على الأقل، ويترتَّب على ذلك القضاء على الغطاء النباتي.

• عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: « لِلدَّجَّالِ آيَاتٌ مَعْلُومَاتٌ: إِذَا غَارَتِ الْعُيُونُ، وَنَزَفَتِ الْأَنْهَارُ، وَاصْفَرَّ الرَّيْحَانُ، وَانْتَقَلَتْ مَذْحِجُ وَهَمْدَانُ مِنَ الْعِرَاقِ، فَنَزَلَتْ قِنَّسْرِينَ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ غَادِيًا أَوْ رَائِحًا »(٢).

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: فِي سُكْنَى الْمَدِينَةِ وَعِمَارَتِهَا قَبْلَ السَّاعَةِ، ح (٢٩٠٤).
(٢) أخرجه الحاكم: ك: الفتن والملاحم، ح (٨٤٢٠)، وقال عنه: صحيح الإسناد، وأقرَّه الذهبي.

• هذا الأثر يُشيرُ إلى سنوات القحط الثلاث التي بين يدي خروج الدَّجَّال، وهذا الأثر يساعدنا على فهم المراد ببعض أسئلة الدَّجَّال لتميم بن أوس الداري ومن معه عن نخل بَيْسان، وعن عين زَغر، فقد سألهم عن مواقع يعرفونها في بلادهم.

• وفي هذا الأثر إشارة عجيبة جدًّا وهي اصفرار الرَّيْحانِ، وقد يكون هذا لقلَّة المياه، أو حجب الضوء عنه؛ فذلك يُعزِّز ما ذكرناه من نتائج مترتِّبة على حَجب الدُّخَان لأشعة الشمس.

• **حجارة مسوَّمة شبيهة بحجارة قوم لوط** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُمْطَرَ النَّاسُ مَطَرًا لَا تُكِنُّ مِنْهُ بُيُوتُ الْمَدَرِ، وَلَا تُكِنُّ مِنْهُ إِلَّا بُيُوتُ الشَّعَرِ }**(١).

• كلمة (**تُكِنُّ**): الكنُّ وقاء كل شيء وسِترُه، والكنُّ ما يَرُدُّ الحرَّ والبرد من الأبنية والمساكن (٢).

وبُيُوتُ الْمَدَرِ: هي البيوت المبنية من الحجارة المطبوخة، ويراد بها هنا الحضر أو المدن، أما بيوت الشعر فكناية عن بيوت البدو أو أصحاب البادية، والوضع الطبيعي المعهود أن بيوت المدر أو بيوت الطين والخراسانة أكثر حفظًا لأهلها من بيوت الشعر، وهذا أمر معلوم، لكن الغريب في الحديث أنه أشار إلى مطر لا تحفظ منه بيوت المدن أو البيوت المصنوعة من الحجارة، بينما تحفظ منه بيوت الشعر.

---

(١) أخرجه أحمد، ح (٧٥٦٤)، انظر صحيح ابن حبان (١٥/ ١٧٤)، والمسند الصحيح للعدوي (٤٢١)، وقال إسناده حسن.

(٢) لسان العرب، لابن منظور (١٣/ ٣٦٠).

فأي مطر هذا؟!.

ومن تتبَّع سياق القرآن يجد أن لفظة (مطر) بجميع تصريفاتها [أمطرناهم، مطرًا، أُمطرت، أمطرنا] في أغلب الآيات لم تستخدم إلا للدلالة على الرجم بحجارة من السماء؛ وخاصة على ما أصاب قوم لوط، وجاء وصف الحجارة تارة بأنها مسوَّمة أو من سِجِّيل، ومن معاني اللفظتين أن كل حجر مكتوب عليه أو مسجَّل عليه مَن يستحق به العقاب، فهي حجارة موجَّهة بكل دقة لا تخطئ هدفها أبدًا.

• فالحديث يُشيرُ إلى عقوبة ربانية تصيب المدن على وجه الخصوص، وينجو منها أهل البوادي، وقد تكون عقوبة ربانية على معاصٍ معينة، ودلالة الواقع تُشيرُ إلى أن المعاصي ووسائل الترَف والمهلكات واستحلال المحرَّمات (من الشذوذ وفاحشة قوم لوط والسحاق وغيرها) الموجبة للعذاب موطنها المدن لا البوادي، وهذا ملاحظ معلوم في زماننا.

• وفي الحديث إشارة إلى أن الحافظ من هذا المطر هو الخروج من أرض الموبقات، وبيوت المدر كناية عن المدن التي ستنتشر بها الموبقات وإشارة إليها.

• عودة الغطاء النباتي لجزيرة العرب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **{ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ، حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ، وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا }**(١).

• في هذا الحديث إشارة إلى حدوث تغيُّرات في الكرة الأرضية يترتَّب عليها

(١) أخرجه مسلم: ك: الزكاة، ب: الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، ح (١٥٧).

تغيُّر مناخ الأرض، كما أن فيه دلالة على أن أرض العرب كانت مروجًا وأنهارًا.

• ويؤكد ذلك أن بحيرات البترول تكوَّنت بسبب تحول مواد عضوية لحيوانات ونباتات؛ مما يُشيرُ إلى وجودها بكثرة في ذلك المكان في الماضي.

• وقد يحتمل أن تكون هناك علاقة بين كسف الأرض وحدوث هذا التغيير الجذري.

• تقارب الزمان:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَيَكُونَ الشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونَ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونَ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونَ السَّاعَةُ كَاحْتِرَاقِ السَّعَفَةِ الْخُوصَةُ }**(١).

• وتقارب الزمان على حقيقته وليس مجازيًّا، مما يُشيرُ إلى أن هناك اضطرابًا ملحوظًا سيطرأ على حركة الكرة الأرضية.

• وإذا ربطنا هذه العلامة بما يقع في زمن الدَّجَّال، حيث يكون يومه الأول كسنة، ويومه الثاني كشهر.. أصبح عندنا تصور أنه سيحدث اضطراب للأرض.

ومما يدل على أن تقارب الزمان حقيقي وليس مجازيًّا، هو استفسار الصحابة عن كيفية الصلاة في يوم كسنة، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ }**(٢)؛ مما يدل صراحة على أن الطول الزمني لهذا اليوم هو سَنَةٌ حقيقية.

---

(١) أخرجه أحمد، ح (١٠٩٤٣) بسند حسن، وله شاهد عند الترمذي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، انظر الصحيح المسند للعدوي (٤١٧)، وصحَّحه الألباني في سنن الترمذي، ح (٢٣٣٢)، وفي صحيح الجامع، ح (٧٤٢٢).

(٢) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: ذكر الدجال وصفته وما معه، ح (٢٩٣٧).

• حسر الفرات عن جبل من ذهب:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ، قَالَ: كُنْتُ وَاقِفًا مَعَ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: « لَا يَزَالُ النَّاسُ مُخْتَلِفَةً أَعْنَاقُهُمْ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا، قُلْتُ: أَجَلْ، قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: **{ يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَإِذَا سَمِعَ بِهِ النَّاسُ سَارُوا إِلَيْهِ، فَيَقُولُ مَنْ عِنْدَهُ: لَئِنْ تَرَكْنَا النَّاسَ يَأْخُذُونَ مِنْهُ لَيُذْهَبَنَّ بِهِ كُلِّهِ، قَالَ: فَيَقْتَتِلُونَ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ}**»(١)، وفي رواية: **{ فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ، تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو }**(٢)، وفي رواية: **{ فَمَنْ حَضَرَهُ فَلاَ يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا }**(٣).

• نهر الفرات نهر معروف في العراق، وسينضب ماؤه حتى يبدو الطين في قاعه، فيظهر كنز كبير من الذهب، وقد يراد انكشاف جبل عظيم من الذهب في وسط الماء قد يكون نتيجة لتحرُّك في طبقات الأرض.

• وغالب الظَّنِّ أن انحسار الفرات سيكون في مرحلة لاحقة تغيب فيها العقول ويكثر الهرج، وينتشر القحط ويقل المطر، مثل المرحلة التي بعد آية الدُّخَان، وقبل الدَّجَّال، وذلك لتغيُّر المناخ وانحسار المياه.

• ومن المحتمل أن يحدث هذا في مرحلة فوضوية، وليس في عهد الدولة التي نعيشها حيث إن أي كنز أو اكتشاف تؤمِّنُه الدولة وتحرسه، وسياق الحديث يُشيرُ

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: قوله: {لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب}، ح (٢٨٩٥).
(٢) المصدر السابق، ح (٢٨٩٤).
(٣) أخرجه البخاري: ك: الفتن، ب: خروج النار، ح (٧١١٩).

أن كل إنسان يتصوَّر أنه يملك القدرة على هذا الكنز.

• عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ، كُلُّهُمُ ابْنُ خَلِيفَةٍ، ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلًا لَمْ يُقْتَلْهُ قَوْمٌ }** - ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لَا أَحْفَظُهُ فَقَالَ - **{ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللهِ الْمَهْدِيُّ }**(١).

• قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذكره للحديث: « فَهَذَا إِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِالْكَنْزِ فِيهِ - أي حديث ابن ماجة - الْكَنْزُ الَّذِي فِي حَدِيثِ الْبَابِ - أي كنز الفرات - دَلَّ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا يَقَعُ عِنْدَ ظُهُورِ الْمَهْدِيِّ وَذَلِكَ قَبْلَ نُزُولِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَبْلَ خُرُوجِ النَّارِ جَزْمًا، وَاللهُ أَعْلَمُ »(٢).

[ويدق قلبي عندما أرى الرايات السُّود لتنظيم الدولة الإسلامية الذي يُطلِق عليه الغربُ «داعش»، وأرى القتل والقتال. أشعر أن ثمة أحداثًا قد تُنبِئ عنها الأيامُ القادمة، وإن كنتُ من الذين لا يحبون إسقاط الأحداث على الواقع والجزم بها حتى لا يتَّكِل الناس. فأقول من المحتمل، والله أعلم].

• وفي أثرٍ عن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «الْفِتَنُ ثَلَاثٌ، تَسُوقُهُمُ الرَّابِعَةُ إِلَى الدَّجَّالِ الَّتِي تَرْمِي بِالرَّضْفِ، وَالَّتِي تَرْمِي بَالنَّشَفِ، وَالسَّوْدَاءُ الْمُظْلِمَةُ، وَالَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ »(٣).

---

(١) أخرجه ابن ماجة: ك: الفتن، ب: خروج المهدي، ح (٤٠٨٤)، والحاكم في الفتن، ح (٨٤٣٢)، وقال عنه ابن كثير: هذا إسناد قوي صحيح.

(٢) فتح الباري (١٣/ ٨٧).

(٣) كتاب الفتن لنعيم بن حماد، رقم (٩٢)، وابن أبي شيبة، ح (٣٧١٣٢)، والحاكم نحوه في الفتن،

والنَّشَفُ: وَهِيَ حِجَارَةٌ سُودٌ كأَنها أُحرقت بِالنَّارِ، والرَّضْفُ: الحجارة التي أُحْمِيَتْ بالشمس، أو هِيَ الحِجارة المُحْماة عَلَى النَّارُ، أو الحجارة التي يوقَد عليها حتى تصير لهبًا (١).

• **الخسوف العظمى:**

وقد ذكرنا الأحاديث الدالة على خَسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب.

عَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ يَغْزُو جَيْشٌ الكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ، يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ }**. قَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: **{ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ }**(٢).

• وقد يُراد - والله أعلم - بأن هذا الجيش الذي يُخَسف به هو الجيش الذي يَقصِد قتال المهدي عندما يَلوذ بالكعبة، ويكون مبعثه من الشام، فيقع به الخسف العظيم، وهو الخسف الثالث في الآيات العظام.

ح (٨٤٣٥)، وقال عنه: صحيح على شرط الشيخين.

(١)لسان العرب، لابن منظور (٩/ ١٢١، ٣٢٩).

(٢) أخرجه البخاري: ك: البيوع، ب: ما ذكر في الأسواق، ومسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ح (٢٨٨٢).

• **خروج أهل المدينة:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمَدِينَةِ: **{لَيَتْرُكَنَّهَا أَهْلُهَا عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ مُذَلَّلَةً لِلْعَوَافِي}** يَعْنِي السِّبَاعَ وَالطَّيْرَ(١).

• عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ }**، ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى فَخِذِ الَّذِي حَدَّثَهُ، - أَوْ مَنْكِبِهِ - ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذَا لَحَقٌّ كَمَا أَنَّكَ هَاهُنَا»، أَوْ «كَمَا أَنَّكَ قَاعِدٌ»، يَعْنِي مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ(٢).

• وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «أَخْبَرَنِي رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، فَمَا مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا قَدْ سَأَلْتُهُ، إِلَّا أَنِّي لَمْ أَسْأَلْهُ: مَا يُخْرِجُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ »(٣).

• الشاهد في هذه الأحاديث أن أهل المدينة سيتركون المدينة وهي أينع ما تكون، وهذا التَّرْكُ لا بد أن يكون وراءه سببٌ قاهرٌ، قد يكون أمراء السُّوء، وقد حصل مثله في عهد يزيد في وقعة الحرَّة سنة (٦٣) هـ.

• وفي حديث معاذ أن خراب المدينة له علاقة زمنية بعُمران بيت المقدس،

---

(١) أخرجه البخاري: ك: فضائل المدينة، ح (١٨٧٤)، ومسلم: ك: الحج، ب: في المدينة حين يتركها أهلها، ح (١٣٨٩)، واللفظ له.

(٢) أخرجه أحمد، ح (٢٢٠٢٣)، وأبو داود: ك: الملاحم، ب: في أمارات الملاحم، ح (٤٢٩٤) واللفظ له، وحسَّنه الألباني.

(٣) أخرجه مسلم: ك: الفتن، ح (٢٨٩١).

وهذا يكون في آخر الزمان.

• وهذا الخروج قد يكون بسبب الحِمَمِ التي تخرج من جبل الوراق وتقذف بها نحو المدينة في ثورة بركانية هائلة، وقد أشار بعض العلماء المعاصرين إلى أن المدينة المنورة محاطة بحوالي ٧٠٠ فوهة بركانية سَجَّلت ما لا يقل عن ٣٠٠ هزة أرضية خلال سنة واحدة، مما يؤكد أنها لا تزال نشطة، وبالتالي لا بد لها أن تفور في يوم من الأيام، وهذا ما يُشيرُ إليه هذا الحديث.

• عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَزَلْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَتَعَجَّلَتْ رِجَالٌ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَبَاتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِتْنَا مَعَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ سَأَلَ عَنْهُمْ، فَقِيلَ: تَعَجَّلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: **{ تَعَجَّلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَالنِّسَاءِ أَمَا إِنَّهُمْ سَيَدَعُونَهَا أَحْسَنَ مَا كَانَتْ }**، ثُمَّ قَالَ: **{ لَيْتَ شِعْرِي مَتَى تَخْرُجُ نَارٌ مِنَ الْيَمَنِ مِنْ جَبَلِ الْوِرَاقِ، تُضِيءُ مِنْهَا أَعْنَاقُ الْإِبِلِ بُرُوكًا بِبُصْرَى كَضَوْءِ النَّهَارِ }**(١).

• وقد ورد في الأثر ما يدل على الارتباط بين الخروج من المدينة وبين فتنة الدَّجَّال.

فَعَنْ مِحْجَنِ بنِ الأدرعِ الأسلميِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: إِنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِي، فَصَعِدَ عَلَى أُحُدٍ، فَأَشْرَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: **{ وَيْلُ أُمِّهَا قَرْيَةً يَدَعُهَا أَهْلُهَا خَيْرَ مَا تَكُونُ، أَوْ كَأَخْيَرِ مَا تَكُونُ، فَيَأْتِيهَا الدَّجَّالُ، فَيَجِدُ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهَا مَلَكًا مُصْلِتًا بِجَنَاحِهِ فَلَا يَدْخُلُهَا }**(٢).

---

(١) أخرجه أحمد، ح (٢١٢٨٩)، والحاكم في الفتن والملاحم، ح (٨٣٦٦)، وقال صحيح الإسناد، وأقره الذهبي (المستدرك ٤/ ٤٨٩).

(٢) أخرجه أحمد (١٨٩٧٦)، والطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد (٣/ ٣٠٩).

• أنظمة الحرب في مرحلة الملاحم العظمى تكون تقليدية:

من الملاحظ على أكثر علامات الساعة في مرحلة المهدي والدَّجَّال والملحمة العظمى أنها استخدمت عبارات كالسَّيف والرُّمح والخيل وغيرها. كما وردَ عن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قالَ: «... إنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ، فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَيُقْبِلُونَ، فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً »، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ }**(١).

• **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: { لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا، قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا، وَاللهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيُقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ، أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ، لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ، قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمِ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ**

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن، ب: إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال، ح (٢٨٩٩).

دَمَهُ فِي حَرْبَتِه }(١).

• فالخيول والفوارس والسيوف والحربة كلها تُشير إلى أن أسلوب القتال من أساليب الحروب القديمة وليست الحديثة؛ لذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ: الأَجْرُ وَالمَغْنَمُ }(٢).

• فوسائل القتال المعاصرة ليست دائمة، بل هي تمثِّل مرحلة طارئة، ويرجع الأمر إلى سابق عهده في استخدام الوسائل القديمة في القتال ومن ضِمنها الخيل.

وهذه الوسائل القتالية المعاصرة لم تكن معهودة قبل قرن من الزمان، ومدة بقائها المستقبلية مجهولة، وقد تكون قصيرة جدًّا وستئول إلى فَناء، وقد يكون ذلك إثر حدثٍ كونيٍّ مهولٍ سيعصف بالأرض ويؤثِّر على أنظمتها أو قوانينها التي استمدَّت من خلالها المدنية الحديثة التكنولوجية المعاصرة.

ومن المعلوم أن أي اختلال في الغلاف الجوي له آثاره على الاتصالات وعلى الطيران و... إلخ.

• إن ظاهرة مثل ظاهرة «الانحباس الحراري» مثلًا (الدفيئة) يرى فيها العلماء المتخصِّصون آثارًا مدمِّرة قد تُنهي الحياة المدنية المعاصرة، ويربطون بينها وبين حصول أعاصير مدمِّرة وأوبئة قاتلة، ومجاعات وقحط، وحروب طاحنة، وتغيُّر

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: فتح القسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم، ح (٢٨٩٧).

(٢) أخرجه البخاري: ك: الجهاد والسير، ب: الجهاد ماض مع البر والفاجر، ح (٢٨٥٢)، ومسلم: ك: الإمارة، ب: الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، ح (١٨٧٣)، عن عروة البارقي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بيئي ومناخي، وغرق مدن، بل دول بأكملها تحت الماء، واختلال في كثير من القوانين التي تحكم الكرة الأرضية.

• فإذا كانت هذه تصوُّرات العلماء المستقبلية لظاهرة بسيطة «كالانحباس الحراري» فكيف يكون تصوُّراتهم لو سقط على الأرض نَيْزَكٌ ضخم قوته التدميرية والحرارية تعادل القنابل النووية؟!

• ومن العجب أن الأناجيل قد أكَّدت هذه المعاني على لسان المسيح عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ(١). **فمن علامات الساعة: ظهور أنبياء كذبة، ومسحاء كذبة، وزلازل عظيمة، ومجاعات وأوبئة، وتسلط أهل الباطل على أهل الحق، وعلامات كونية تسبق نزول عيسى** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، **وتقارب الزمان، وكرب وحيرة وأمواج ثائرة.**

***

• السنن الربانية في إهلاك الأمم:

بقاء الأمم أو هلاكها يخضع لقانونٍ ربانيٍّ عامٍّ مبنيٍّ على أسباب ونتائج؛ بل إن السنن الإلهية في إهلاك الأمم أكثر ثباتًا من القوانين الطبيعية في الكون، وهي تتضمن سُنَنَ النصر أو الهزيمة، أو البقاء أو الهلاك، قال الله ﷻ: ﴿ **سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾** ﴾[الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿ **سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾** ﴾

---

(١) انظر: إنجيل متَّى، الإصحاح الرابع والعشرون [العهد الجديد (٤٤)].
وإنجيل لوقا، الإصحاح الثالث والعشرون [العهد الجديد (١٣٥)].
وإنجيل مرقس، الإصحاح الثالث عشر [العهد الجديد (٨٠)].

[الإسراء]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾[فاطر].

• **السنة الربانية المهلكة:**

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾[الإسراء]، وقال تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [النحل]، تأمَّل: مَكَر، وقال تعالى: ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾[يونس].

وغير ذلك من الآيات التي تَستَشعِرُ فيها أن سبب الهلاك: (لما ظلموا، ففسقوا فيها، العجب والغرور، وظن أهلها أنهم قادرون عليها).

فأهم أسباب الهلاك: الظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان]، والكفر والفسق، والاستكبار في الأرض، ووجود النموذج الفرعوني.

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾[الشعراء].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ

﴿يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾[فصلت].

• ونموذج عادٍ والنموذج الفرعوني موجودان في عصرنا، فترىٰ مَن يقول بلسان حالِه: مَن أشدُّ منَّا قوة؟ ومَن يرىٰ أهل الحقِّ والثبات علىٰ الدِّين شِرذمةً قليلين، وهناك مَن يرسل إلىٰ المدائن والدول ليحشر كل طاقاته وجيوشه للكيد للإسلام، وهناك مَن يرىٰ استخدام القوة بأبشع صورها مع كل من يثبت علىٰ دينه، ويَتمثَّلُ منطق فرعون: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾.

فالكيد لأهل الإسلام من خلال التآمر عليهم واضح في عصرنا، ومكرهم ماثل أمام الأعين، سواء كان مَكرًا بالقرآن نفسه أو السُّنَّة، أو بمدارس القرآن، أو بالمناهج الإسلامية في الدراسة، أو بتعاليم الإسلام وثوابته من خلال الكيد للحِجاب والعفَّة والغَيرة علىٰ الأعراض، ومصادرة هذه الأفكار، وبثِّ الأفكار المسمومة في الأذهان باسم تحرير المرأة أو حقوقها أو مؤتمر السكان.

• **ومن هذه الأسباب المُهلكة**: تزيين الأرض التي يترتَّب عليه ثقة الإنسان العمياء بنفسه، وسيطرة الوساوس الشيطانية عليه بأنه يظن أنه قادر علىٰ فعل أي شيء.

• **ومن الأسباب المهلكة**: انتشار الفواحش والموبقات في الأرض، والإعلان عنها عبر أجهزة التلفاز والفضائيات والإنترنت.

• **ومن الأسباب المهلكة**: فتح باب المواجهة بين الحقِّ والباطل، حتىٰ أصبح المستهدف الوحيد في الأرض هو المسلم ودينه وكتابه، بل استدرج حكام وملوك الأرض، وتناسَّوْا خلافاتهم واتفَّقوا علىٰ حرب واحدة لأول مرة علىٰ مستوىٰ الكرة الأرضية بأكملها.

• الإنذارات التي تسبق الهلاك:

من المعلوم أنه قبل نزول العذاب المحقَّق تأتي بعض الإنذارات الربانية من باب الرأفة والرحمة. قال تعالى: ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ [النحل]، والمراد بالتخوُّف الإنقاص من قدرتها تدريجيًا، وذلك من خلال تسليط جنود الله التي لا يعلمها إلا هو سبحانه.

• انظر إلى دولة فرعون كيف أنذرها الله سبحانه وتعالى ببعض الآيات قبل العقوبة الماحقة، قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَاسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[الأعراف].

• وهي تمثِّل في عصرنا هذا ما يُصيب به الله تعالى الدول العاتية من دول الكفر والظلم بالأعاصير والفيضانات وموجات الجفاف والأمراض الماحقة للإنسان والحيوان والنبات والطير (كالإيدز وجنون البقر وأنفلونزا الطيور، وغير ذلك).

• فإن لم يكن لهذه الإنذارات صدًى في قلوب هؤلاء، وازدادوا غرورًا وعَنجهية، عندها يرتفع مستوى الإنذار إلى درجة أعلى ليُوصَف بموجة قاتلة مسمومة في متنفس المترفين في الأرض ففي لحظات يأكل البحر قرابة النصف مليون إنسان في مناطق السياحة والترف في شواطئ جنوب شرق آسيا، والحكمة ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾، لعلهم ينتبهون إلى أن هناك قوة حقيقية مهيمنة على الكون كله وبيدها مقاليد كل شيء، فإن لم يحصل الارتداع، عندها يصدق فيهم قول الحقِّ سبحانه:

openkandil.com

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾[آل عمران]، ويكونون أقرب شيء من سطوة ربانية عظمى مباغتة لهم، وتأتي في لحظة فرح وثقة واستهزاء بأهل الحقِّ وشعور بالقدرة المطلقة وإحساس بالأمن. ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾[الأعراف].

• ومن الملاحظ أن أكثر المؤتمرات والمؤامرات في الأرض هي للكيد بأهل الإسلام ودينهم، والعالم كله به شبه متواطئ في جرائم تشريد وقتل وتضييق على المسلمين في الأرض، وأهل التَّرَف قد دخلوا مِضمار الشرِّ بأوسع أبوابه لإشاعة الفاحشة والمنكرات في الأرض كلِّها، وهذا لأول مرة في كامل الكرة الأرضية، وتكرَّرت إنذارات الهلاك، وتكرَّر نموذج قوم نوح مرة ثانية، فناسب الأمر أن تكون العقوبة شاملة، ولمَّا تحول الصراع في الأرض إلى صراع واحد مُوَجَّه نحو أهل الرسالة في الأرض ناسب ذلك أن تكون العقوبة أشبه بطوفان قوم نوح، ولكن بشكل آخر كآية الدُّخَان مثلاً لتنهي صفحة بالية من البشرية وتفتح أخرى مُمَهِّدةً للعالمية الثانية للإسلام، وليست مُنشِئَةً لها.